الدكتور إبراهيم السامرائي
حياته وآثاره

الدكتور محمد خير محمود البقاعي *

العلماء مِلح الأرض، وصفهم رب العزة بأنهم أهل خشيته . وهم أعظم العباد أجراً، إنِ اتقوا الله في علمهم، وكانوا من العاملين النافعين لخلقه. ولكنهم مرزّؤون أيضاً، يخشاهم الحاكم الجائر، فيحاول بشتى الطرق، من ترغيب وترهيب، إخضاعهم لسلطته، ليغمضوا عيونهم عن تجاوزاته، وإنْ لم يفعلوا ، كان النفي والحرمان سبيلهم، ليضربوا في أنحاء الأرض بحثاً عن لقمة عيشهم، يتقاذفهم جشع الناس، وتزري بهم الحاجة، ويُتخادعون بنواياهم، كما قال محمد بن حازم الباهلي:

وإذا الكريم أتيتــه بخديعـة — فرأيته فيما تروم يسـارعُ
فاعلم بأنك لم تُخادع جاهلاً — إن الكريم بفعله يُتَخَادعُ

شهدت بدايات القرن الحادي والعشرين غياب كوكبة من علماء القرن العشرين، منهم العلامة الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله ، وعلامة آخر من علماء العربية ، كانت له مشاركات في فنون العربية جميعها من لغة، وأدب، ودراسات نقدية، وتحقيق التراث ذلكم هو الدكتور إبراهيم السامرائي، رحمه الله الذي يعد من أكابر العلماء العاملين في مجال التراث والدراسات اللغوية قديمها وحديثها.

* إجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق ١٩٨٠م .
- دبلوم دراسات عليا القسم اللغوي من جامعة دمشق ١٩٨١م .
- دبلوم دراسات معمقة (ماجستير) من جامعة ليون الثانية - فرنسا ١٩٨٦م .
- دكتوراه في علوم اللغة من جامعة ليون الثانية - فرنسا ١٩٩٢م .
- يعمل الآن عضواً في هيئة التدريس قسم اللغة العربية كلية الآداب بجامعة الملك سعود .

ولد إبراهيم أحمد الراشد السامرائي في حاضرة العمارة ، جنوبي العراق، على الجهة اليسرى من نهر دجلة، عام ١٩٢٠م، وقد تحدث الدكتور السامرائي عن طفولته الأولى، وعن مراحل حياته في كتاب سماه "حديث السنين، سيرة ذاتية"[١]، أدار فيه حواراً بينه وبين صاحبه، استطاع من خلال ذلك الحوار أن يقص مراحل حياته، التي اتسمت بالسعي الدؤوب وراء العلم، ووراء الحقيقة العلمية. لقد أتم دراسته الثانوية في بغداد، ثم التحق بدار المعلمين العليا عام ١٩٤٥م ، وعُين بعد تخرجه مدرساً، وأوفد إلى باريس فالتحق بجامعة السوربون[٢]، ونال فيها شهادة الدكتوراه في الأول من آذار ١٩٥٦م[٣] في اللغات السامية وفقه اللغة العربية، وكان عنوان أطروحته التي كتبها بالفرنسية "الجموع في القرآن"، بإشراف رسمي للمستشرق المعروف ريجيس بلاشير[٤]، وإشراف فعلي للمستشرق اللغوي المعروف جان كانتينو[٥]. وقد كان لمرحلة التأسيس الخصبة التي عاشها

(١) صدر عن دار البيارق، ودار عمار، عمَّان، الأردن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) كان رابع ثلاثة هم: علي جواد الطاهر، علي الزبيدي، صلاح خالص، ناهيك عن عاتكة الخزرجي التي أعدت أطروحتها مع بلاشير عن العباس بن الأحنف.

(٣) وليس في عام ١٩٥٥م كما جاء في النبذة التعريفية التي نشرتها مجلة "الفيصل" العدد٢٩٧، ربيع الأول ١٤٢٢هـ/مايو-يونيو ٢٠٠١م. انظر: حديث السنين، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٤) تحدث عنه الدكتور السامرائي في : حديث السنين، م.س ، ص ١٦٠-١٦٤. وانظر ٢١٣-٢١٤. قال في الصفحة ٢٢٤: "وقد كان لي فوائد، وجدتها لدى الأستاذ بلاشير، في ترجمته للقرآن، تلك الترجمة التي نوهت بها، وآثرتها على الترجمات الكثيرة، الفرنسية وغير الفرنسية في اللغات الأعجمية". وقد نوه السامرائي بترجمة بلاشير القرآن الكريم في حديث السنين، ص ١٦١-١٦٤.

(٥) انظر حديث السنين، م. س، ص ١٦٨-١٦٩، و٢١٤-٢١٥. وكانت أطروحته الثانوية أو التكميلية كما تسمى، هي تحقيق كتاب "المثل السائر" لضياء الدين ابن الأثير ، انظر : حديث السنين ، م . س ، ص٢١٦-٢٢٠ . وفي الصفحات ٢٢٠-٢٢٥ عن رسالته الأساسية. ويجد القارئ في هذه السيرة الأسس الثقافية التي كونت شخصية السامرائي اللغوي . يقول السامرائي في الصفحة ٢٢٥ من حديث السنين : "... فقد وضعت خطتي وحدي مستعيناً بما كنت قد جمعته من مواد، جعلتها في مقدمة لغوية تاريخية ، ثم وضعتها وضعاً معجمياً، بحسب حروف المعجم مبتدئاً بالكلمة ومعناها وصورها، وما كان لها من الدلالات التاريخية في غير لغة التنزيل، ثم التحول منها إلى صلة الكلمة" الجمع" بالفعل والضمائر، وهذا ما يدعى في لغة أهل النحو Syntaxe ".

السامرائي في باريس دور في تكوين الشخصية العلمية للسامرائي، الذي أخذ من الثقافة الفرنسية جديتها، وشغفها بالعلم، وقرن كل ذلك بالموروث العربي الذي حصّله في شبابه، وأنتج ذلك كله عقلية فذة، أخذت من كل علم من علوم العربية بطرف، وخاضت في تلك العلوم، دراسة، وتحقيقاً، ونقداً، مما جعل خليل إبراهيم عبد اللطيف يقول عنه: "... لقد اهتم باللغة العربية أشد الاهتمام، وخاصة بفقه اللغة . وحفلت كتبه بآرائه، وملاحظاته حول المناحي اللغوية، والأدبية، وشدد على وجوب استعمال الفصحى في كلامنا اليومي من دون العامية"[1]. وقال عنه الدكتور داود سلوم: "إن السامرائي مدرس لغة ، وصناعة المفردات، يقلبها ويرجعها إلى أصولها العربية القديمة، أو اللغات السامية البائدة، وهو كاتب يتبع الأساليب الحديثة ليضعها في مكانها، وينسبها إلى أصولها الأجنبية في اللغات الأوربية الحديثة. وشغلت مؤلفاته الباحثين والجامعيين والنقاد سنوات طويلة، وتلمذت لكتبه ودراساته أجيال من اللغويين والباحثين في جامعات عربية وعراقية خلال أكثر من خمسين سنة."[2] لقد كان إبراهيم السامرائي، ناهيك عن اهتمامه باللغة والأدب، مترجماً نقل إلى العربية نصوصاً عديدة للمستشرق الفرنسي لوي ماسينيون[3]، وغيره. وانعكس الاهتمام اللغوي الذي فُطر عليه، واتخذه السامرائي مجال اختصاص في الدراسات اللغوية الكثيرة، التي طالت الجوانب اللغوية كلها، قديمها وحديثها، والتي نشرها في مشرق الوطن العربي ومغربه، اهتم باللهجات العربية القديمة والحديثة، وبلغة الصحافة العربية على اختلاف مشاربها، وأماكن صدورها، ولعل دراسته الفرنسية، واطلاعه على معاجمها التاريخية،

---

(١) أدباء العراق المعاصرون .- بغداد، ١٩٧٢م، عن مجلة "الفيصل".

(٢) عن مجلة "الفيصل"، ص ١٢٤.

(٣) مثل كتابه عن قصر الأخيضر .- عمان - الأردن : دار الفكر ، ١٩٨٥م، وكتابه عن: المصادر العربية التي استعملها المدرسيون اللاتينيون، دار النشر السابقة، ١٩٨٥م، وكتابه: التنظيمات الحرفية والمدينة الإسلامية، دار النشر السابقة، ١٩٨٥م. ناهيك عن ترجمته كتاب باولو كوستا، عن صنعاء ، وغير ذلك. وقد تحدث الدكتور السامرائي عن ماسينيون في كتابه حديث السنين ، م.س.، ص١٧١-١٧٤.

دفعه إلى العناية بهذا الجانب المهمل في الدراسات العربية، (المعجم التاريخي)، فخصه بمباحث نشرها في أماكن متباعدة، يحسن اليوم أن تجمع في كتاب ، ليستفاد منها في متابعة هذا الجانب، الذي ما زلنا، على الرغم من تقدم وسائل الدراسات اللغوية، نشكو من نقص فيه. إن للكلمة في اللغات الأوربية بطاقة أحوال مدنية، إن صح القول، إذ تجد في المعجم سنة ولادتها، والدلالة التي كانت تحملها حينئذٍ، ثم التطورات اللاحقة التي طرأت عليها حتى زمن تأليف المعجم ، وأين نحن من هذا في العربية ؟ كان السامرائي، رحمه الله، يجيد اللغات السامية، التي درسها استعداداً لتحضير رسالته، فدرس منها العبرية ، والسريانية ، والآرامية ، والحبشية والبابلية والآشورية ، والسبئية . ثم أتقن الفرنسية والإنجليزية والكردية، فتزود بما ينبغي أن يتزود به اللغوي العربي الحاذق ؛ لأن العربية، وليس العبرية، بخلاف ما قال به المستشرقون من اليهود ، هي مستودع أسرار الساميين. ألف السامرائي، رحمه الله، عدداً من الكتب اللغوية، ومئات الأبحاث والمقالات، التي نشرت في مجلات مجامع اللغة العربية في القاهرة، ودمشق، وعمّان، والهند، وقد كان عضواً فيها، وفي الجمعية اللغوية الفرنسية. ويتحدث الأستاذ سمير غريب عن السامرائي اللغوي فيقول " في إحدى جلسات الندوة(ندوة كتاب في جريدة التي عقدت في بيروت، في مارس ١٩٨٨م)، شرع شيخ أشيب الشعر صغير الجسم، في الحديث بصوت ضعيف وفي تواضع جم عن التراث واللغة العربية، وانتقد إقحام تعبيرات أجنبية عليها في كتابات بعض الكتّاب العرب، وأشار إلى ظهور لغة عربية جديدة، طالب لها بمعجم جديد، وأعجبتني ملاحظته بأن بعض الشعراء يكتبون الشعر بلغة الصحافة، وأخذني ما ظهر منه من علم، وطلاوة في أسلوب الحديث، وسهولة في الشرح وذكر الأمثلة..."[١]. لقد بدأت رحلة الاغتراب في حياة السامرائي في سنة ١٩٤٥م، وقضى في باريس سبع

(١) في مقالة للأستاذ سمير غريب، رئيس مجلس إدارة دار الكتب والوثائق المصرية، نُشرت في صحيفة الحياة اللندنية، العدد ١٣٩٢٨، الجمعة، ٤ أيار"مايو" ٢٠٠١م، ١٠ صفر ١٤٢٢م.

سنوات عجاف على ما يقول، ولكنها، على ما كان فيها من خطوب، كان فيها شيء من لذةٍ ومتعة، يأتيان من حياة طالب، جرب تجربة العيش وحيداً، ولكنه يتأسى بما يكون من ذلك لدى جمهرة لا حصر لها من طلاب من كل بلاد الدنيا. عاد السامرائي إلى بغداد في شهر آذار ١٩٥٦م ، وعُيِّن في الشهر نفسه أستاذاً في كلية الآداب والعلوم، وفي ٩/٤/١٩٥٦م تزوج، وعاد مع زوجته إلى باريس على الطريق نفسها، التي سلكها عندما سافر للدراسة، ثم ذهب في عام ١٩٦٠م إلى تونس مدرساً في كلية الآداب، ثم عاد إلى بغداد، وكان له عدة أسفار قصيرة بين سنة ١٩٦٥ وسنة ١٩٧٥م إلى بيروت وعمَّان وبنغازي والجزائر والرباط. وزار السودان ممتحناً خارجياً في عام ١٩٦٤م ، ثم قضى بعد ذلك عاماً دراسياً واحداً في الكويت، وزار مصر عدة مرات في أزمنة مختلفة، وكان يذهب إليها في شهر نيسان"أبريل" من كل عام لحضور مؤتمر مجمع اللغة العربية الذي كان عضواً من أعضائه، منذ أن انتخب عضواً مراسلاً في عام ١٩٨١م. وكان، كما يقول الأستاذ سمير غريب "يعاني فيها كلما دخلها، لأنه يحمل جواز سفر عراقياً، والعراقي مستراب فيه في كل مطارات العالم، وليس في مصر وحدها، والجميع يعلم من صاحب الفضل في هذا ؟" كان السامرائي يعاني من ذلك ليس في مصر وحدها، وإنما في كثير من البلاد التي لم يستطع دخولها، بعد أن أراد أهل العلم في تلك البلاد تكريمه، وقد أخبرني بذلك شيخنا الجليل أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، نقلاً عن إحدى رسائل السامرائي إليه كما سيأتي ذكره.

لقد سعى السامرائي إلى الحصول على التقاعد في أوائل سنة ١٩٨٠م، وحصل عليه بعد هياط ومياط، وشفاعة لدى الوزير المسؤول عن التعليم العالي، ثم كتب إلى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، حفظه الله، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني حالياً، ورئيس قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية حينئذٍ، يسأله إن كان له من عمل لديهم، فما كان من الدكتور خليفة إلا أن سعى إلى تعيينه، واستصدر أمراً ملكياً بذلك، ولكن السامرائي لم يستطع المغادرة إلا بعد سنة كان خلالها ينتظر موافقة رئاسة الجمهورية في

بلده على سفره . ثم استقال من عمّان وعزم على الذهاب إلى صنعاء في اليمن في آخر الشهر الثامن من عام ١٩٨٧م، وبقي فيها تسع سنوات، قال فيها:

تسعاً لقيت بها العذا............ب كأنه العذب النمير

ويقودنا قوله هذا إلى الحديث عن السامرائي الشاعر، وعن ديوان شعره الذي يقع في ٧٠٠ صفحة، كان يأمل أن يصدره قبل موته، وهو في شعره مطبوع، يكتب على طريقة القدماء في اختيار الألفاظ الشعرية التي تجعل الشعر مختلفاً عن مستوى الخطاب العادي ، وقد أورد الأستاذ سمير غريب[١] من شعره هذه الأبيات التي تصور حاله في أيامه الأخيرة بعد أن ترك صنعاء، وعاد إلى الأردن، يقول:

وأراني، وبي من الخطب ما بي　　أقلى ما نـال منـي نذيـر
قد دعاني من العـراق كئيبـاً　　ضيم فيه ذو حكمـة وخبيـر
وأنا من أنـا أعاني اغترابـاً　　لم أجد صاحبي وطال ضرير
أين صحـب وأخـوة وقريـب　　وبعيد والحـال أمـر عسـير
غاب عني وما استقام المجيـر　　وكأني أنـا الثقيـل الأخيـر

ومن قصائده الوجدانية، "مع الثمانين"[٢]، نشرها في مجلة "الفيصل" عند بلوغه الثمانين، وتضمنت رؤيته للحياة والناس، قال في التقديم لها: "لقد بلغت الثمانين من العمر، فهل لي أن أقول: دخلت في أرذل العمر، فلو كان لي أن أقول لقلت: لا بلغتها"، وهذه مختارات من هذه القصيدة الجميلة، التي بناها معنوياً، وإيقاعياً على قصيدة عوف ابن محلم السعدي، الذي يقول من أبيات:

إن الثمانـــين، وبُلِّغْتَهـــا ،　　قد أحوجت سمعي إلى ترجمـان

(١) في مقالته المنشورة في صحيفة "الحياة"، موثقة أعلاه.

(٢) الفيصل، العدد ٢٧١ ، المحرم ١٤٢٠هـ / أبريل - مايو ١٩٩٩م، ص٩٨-٩٩. وقد كان من كتاب الفيصل البارزين، نشر فيها التعقيبات، والبحوث والقصائد، ومن آخر ما نشر له فيها بحث بعنوان: مع الفعل في العربية المعاصرة، العدد ٢٩٧، ربيع الأول ١٤٢٢هـ/مايو-يونيو ٢٠٠١م.

قال السامرائي:

وقيل: قد بُلّغتَها في الدعاء — وكيف يدعو ذو سقام عَياء
لا طبت نفساً ذا زمان عثا — وما لغير الشر فيه بقاء
إن الثمانين وقد جئتُها — برغم ما كابدتُه من عناء
ويح الثمانين جلبْنَ البلى — وهو سليل الشر ترب البلاء
وافتننيَ الأيام لا أدّري — سهامها وهي تجيد الرماء
يا صاحبي البعيد هل من حمىً — أصبته مغترباً في جُفاء
يا صاحبي الغريب هل من رجاء — طال بنا الليل فأين الرجاء؟
لكنني أمسيت في عالم — سُوّد فيه كلُّ نخب هواء
ويح الثمانين جلبْنَ الذي — ضقت به لو كان بعض "البداء"

إنها أبيات تنضح بالمرارة، والأسى، ويوشحها الشعور بالغربة، الذي كان السامرائي يطوي كشحه عليه، لقد بناها على "السريع" لتكون كأبيات السعدي في دلالتها على المشاعر التي تنتاب المرء وهو يرى حواسه تذوي شيئاً فشيئاً دون أن يستطيع فعل شيء، بعيداً عن وطنه وأهله.

لقد كان السامرائي، رحمه الله، من أغزر الكتاب تأليفاً وبحثاً، بلغ عدد المداخل المخصصة له في قاعدة معلومات مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية ٣١٣ مدخلاً ، موزعة على كتب ، مؤلفة ، ومحققة ، ومترجمة ، وبحوث علمية ، وتعقيبات وانتقادات، تناول فيها كتب التراث التي تنشر، والبحوث اللغوية التي تصل إلى يده، ناهيك عن الشعر.

لقد عانى السامرائي في سنواته الأخيرة، فهو يقول في إحدى رسائله للأستاذ سمير غريب[١] "فكيف أعمل أنا في عمان، والإقامة السنوية لا أحصل عليها إلا بشق الأنفس،

(١) الحياة، موثق أعلاه.

وأنا لا أعمل ولا أتقاضى راتباً من الأردن، وأنفق على نفسي مما ادخرته، وما يأتي إليَّ من الكتابة، وهو يسير، في بلدٍ غالٍ لا ينظر إلا إلى الدينار".

لقد كان على اتصال مستمر بعدد من أعلام عصره، ومما أخبرنيه شيخنا الجليل أبو عبد الرحمن الظاهري، حفظه الله، أنه كان دائم التراسل معه، قال الشيخ: إنه لمس لدى السامرائي من خلال مراسلاته في آخر حياته، شعوراً بدنو أجله، كقوله، وقد طلب منه الشيخ أن يقمش بعض الفوائد من كتب الحواشي القديمة الصعبة الفهم: "...إنني لا أريد الآن إلا العمل الصالح، ودعاء أخوتي، والخاتمة الحسنة، وظلاً أشعر فيه بالدفء والراحة آخر حياتي"، وأضاف الشيخ أن السامرائي، رحمه الله، أكثر من إرسال القصائد الإخوانية، كأنه بذلك في وحشة يفتقد فيها الأنيس، بدلالة لسان حال تلك الإخوانيات. لقد عانى السامرائي كثيراً من عقوق الآخرين، عانى من العقوق في وطنه، بل في جامعته، فهاجر بحثاً عن هواء الحرية، ونسيم التقدير، فغادر، كما يقول الأستاذ سمير غريب، "من سجن مفتوح إلى سجن آخر مفتوح، وترك عقوقاً ليلتقي بعقوق"، لقد نعته أحد الكتاب التونسيين "بالوارش"؛ وهي كلمة تطلق على من يحضر مائدة القوم دون أن يكون مدعواً لها، ونجد في حديثه عن مدة إقامته في صنعاء معاناة تحملها في سبيل الحصول على لقمة العيش، وتعجب من هذا الرجل الذي:

ما آب من سفر إلا وأزعجه   عزم على سفر بالرغم يُزمعه

كيف استطاع بين الحل والترحال أن يكتب هذا العدد الكبير من الكتب والأبحاث، وأن يحقق عدداً آخر من الكتب على مخطوطات تحتاج إلى صبر وخلو بال. ونختم بهذه الفقرة من سيرته الذاتية، التي تدل على جانب من جوانب شخصيته الذاتية، فقد كان شديد الفرح بزواجه من امرأة صالحة، كان يصطحبها معه في أسفاره، يتوكأ عليها في غربته، وشعر عندما تزوج في عام ١٩٥٦ أنه أكمل دينه، واستقامت طريقته، يقول: "لم يكن لي

في صباي وشبابي ما كان لأقراني من صبية وشبان، فقد نشأت صبياً فشاباً، وأنا مثقل، يعتورني الهم والأسى، كما كنت قد تحدثت في هذا الموجز، لقد شعرت، وأنا أستقبل الدنيا، بما كان من هموم البيت مع أب، انتابته صروف الأيام والليالي، وأمٍّ ساءت حالها، ونهكها الداء، وقد مر الكلام على هذا.

ومن هنا لم يبق إلا أن أتوجه للثقيل من العمل،...لقد لزمت المسجد، وحافظت على الصلوات، وكنت أرفع الأذان، إن تخلف المؤذن لسبب ما، وأقوم بشيء مما يلزم المسجد كمدِّ البُسُط ونحوها في سطح المسجد، لأداء صلاة المغرب والعشاء في أشهر الصيف. وكنت أقرأ قسطاً من الآي الكريم قبل خطبة الجمعة وصلاتها، وكان معي يخلفني في التلاوة المُلاّ عبد الباقي، في مسجد صغير، في محلة السَّراي، في مدينة العمارة، هو مسجد الحاج سالم المحمود. وقد صمت رمضان في أشهر الصيف، فكابدت من حمارَّة القيظ.

وكنت مع كل هذا أؤدي عملاً آخر احتساباً، وهو تعليم السجناء القراءة والكتابة، فقد كنت أزور السجن الكبير في طرف من البلد ثلاث مرات في الأسبوع، فهل تراني ملزماً بأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وهي تسقط مني، لأني لا أملك شروطها، ولي من العمل الصالح، وبرّ أبوي ما يجزئ عن أداء هذه الفريضة، أو ما تراني بعد هذا قد اكتملت، واكتمل ديني، واستقمت على الطريق ؟"[1]. أما مؤلفاته، وأبحاثه، ومقالاته، وتعليقاته، فذكرنا أنها كثيرة نذكر من كتبه المؤلفة: فقه اللغة المقارن (بيروت، ١٩٨٣)، من بديع لغة التنزيل (عمان، ١٩٨٥)، من أساليب القرآن (عمان،١٤٠٣هـ/١٩٨٣)، اللغة والحضارة (بيروت، ١٩٧٧م)، التطور اللغوي التاريخي (بيروت، ١٩٨٣م)، من معجم عبد الله بن المقفع (بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، الفعل زمانه وأبنيته (بيروت، ١٩٨٣م)، مع المعري اللغوي (بيروت، ١٩٨٤م)، لغة الشعر بين جيلين (بيروت، ١٩٨٠م)، الأب أنستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية (القاهرة، ١٩٦٩م)، مع المصادر

(١) انظر : حديث السنين، م. س، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

في اللغة والأدب (عمان ، ١٩٨٣م)، التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية (عمان، ١٩٨٦م)، المجموع اللفيف : معجم في المواد اللغوية التاريخية الحضارية (عمان، ١٩٨٧م)، في شعاب العربية (بيروت، ١٩٩٠م)، معجم الفرائد: فرائد لغوية قديمة حديثة من المعجم العربي التليد (بيروت، ١٩٨٤م)، مع نهج البلاغة: دراسة ومعجم (عمان، ١٩٨٧م)، من وحي القرآن (بغداد، ١٩٨١م)، دراسات في اللغتين السريانية والعربية (بيروت، ١٩٨٥م)، المدارس النحوية: أسطورة وواقع (عمان، ١٩٨٧م)، معجميات (بيروت، ١٩٩١م)، السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب (بيروت، ١٩٩٢م)، في مجلس أبي الطيب المتنبي (بيروت، ١٩٩٣م)، في المصطلح الإسلامي (بيروت، ١٩٩٠م)، في اللهجات العربية القديمة (بيروت، ١٩٩٤م)، النحو العربي في مواجهة العصر (بيروت، ١٩٩٥م)، من معجم المتنبي: دراسة لغوية تاريخية (البصرة، ١٩٧٧م)، الأعلام العربية: دراسة لغوية اجتماعية (بغداد، ١٩٦٤)، رحلة في المعجم التاريخي (القاهرة، ١٩٩٩م)[1]، حديث السنين: سيرة ذاتية (عمان، ١٩٩٨)[2] .

---

(١) انظر : مجلة "الفيصل" العدد المذكور أعلاه، فقد خلطوا الكتب بالمقالات : نظرة في التنوين (١٩٥٩م)، تعابير أوربية في العربية الحديثة(١٩٥٩م)، الجمع في العربية(١٩٦٠م)، في تاريخ المشكلة اللغوية(جزآن ١٩٦٠-١٩٦٤م)، الأعلام في الشمال الإفريقي(مقالة في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد٦، ١٩٦٣م)، بداية الفكر الجغرافي عند العرب (١٩٦٤م) ، من الأدب التونسي الحديث : اللون التقليدي المحافظ(مقالة في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٦٩م)، أصول اللغة العامية البغدادية (١٩٦٥م)، التصغير في أصوله ودلالته (مقالة في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٦٥م)، الجديد في اللغة والمعجم الحديث (مقالة في مجلة العربي الكويتية، العدد٧٩ ، ١٩٦٥م)، أبو سعيد السيرافي وكتاب سيبويه (مقالة في مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٦٦م)، التطور اللغوي التاريخي (١٩٦٦م)، في الجديد اللغوي (١٩٦٦م)، في اللهجات المغربية والأندلسية (١٩٦٧م)، اللغة التونسية (١٩٦٧م)، في النحو العربي: نقد وبناء (١٩٦٨م)، مقارنة في التذكير والتأنيث (١٩٦٨م). والجدير بالذكر أن لهذه الكتب طبعات مختلفة، قد يكون بعضها قد صوِّر مسروقاً، أو أعيد طبعه دون إذن مؤلفه.

(٢) جاءت سيرته ، رحمه الله، صورة عن شخصيته المتعددة الجوانب، وعن اهتماماته التي طالت فروع المعرفة كلها، ففيها كثير من الفوائد اللغوية، والاستطرادات التاريخية، والمواقف الأخلاقية، والاستطرادات التقويمية، وهذا ما أضاع مراحل حياته في خضم ذلك حتى لا يستطيع المرء إلا بصعوبة تتبع تلك المراحل المختلفة. و==

أما تحقيقاته فكثيرة أيضاً، تفاوتت بين الرسالة الصغيرة، والكتاب الكبير، وأول هذه التحقيقات كتاب "المثل السائر" لابن الأثير، الذي كان كما رأينا من متطلبات الحصول على درجة دكتوراه الدولة، ثم حقق كتاب "نزهة الألبَّاء في طبقات الأدباء" لابن الأنباري(١٩٥٩م)، "السرج واللجام" لابن دريد(مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد١٣، ١٩٧٠)، و"الأمكنة والجبال والمياه" للزمخشري(عمان، ١٩٩٩)، "إعلام الورى فيمن نسب إلى سامرا"، جمع وتحقيق(لندن، دار الحكمة، ١٩٩٤م)، "كشف النقاب عن الأسماء والألقاب"، لابن الجوزي، (بيروت، ١٩٩٤م)، "المقترح في المصطلح" في صيد الطير على أنه من ممارسة الفتوة في التاريخ الإسلامي، لابن البقال، (دبي، مركز جمعة الماجد، ١٩٩٧م)، "منازل الحروف" للرماني (عمَّان، ١٩٨٤م)، "الحدود" للرماني (عمان، ١٩٨٤م)، "رسالتان في اللغة" للرماني (عمان، ١٩٨٤م)، "المعرَّب للجواليقي، (بيروت، ١٩٨٥م)، "معجم العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق بالاشتراك(بيروت، دار ومكتبة الهلال، د.ت.) القسم الثاني من كتاب "الزهرة" لمحمد بن داود الأصفهاني، بالاشتراك مع الدكتور نوري حمودي القيسي، رحمه الله، (بغداد، ١٩٧٥م)، ثم عاد الدكتور السامرائي وأخرج الكتاب كاملاً في مجلدين (الزرقاء، دار المنار، ١٩٨٥م)، من الضائع من "معجم الشعراء" للمرزباني (بيروت، ١٩٨٤م)[1].

== وقد كتبها، رحمه الله، في صنعاء في الشهرين التاسع والعاشر من عام ١٩٩٥م. وقال في تقديمه، ص ٦: "وأريد أن أنبه القارئ إلى أني رميت أن أثبت في أثناء السيرة، الكثير من حديث الكتب، وما يتصل بالناس، وابتعدت عما لدى كثير من أصحاب هذا الأدب، كأن يكون في السيرة شيء من "اعترافات"، مستفدين ذلك مما أثر من اعترافات الكتَّاب الغربيين القدامى والمحدثين".

(١) أصدر شعر الأحوص الأنصاري (بغداد، ١٩٦٩م)، وشارك في تحقيق عدد من دواوين الشعر القديم مثل: ديوان القطامي، وقيس بن الخطيم، وعروة بن حزام. وذكر الأستاذ سمير غريب في كلمته في صحيفة "الحياة"، العدد السابق ذكره، أن له حوالي ١٢ كتاباً لم تطبع قبل أن توافيه المنية، ولعل إحدى المؤسسات الثقافية تتولى نشرها للاستفادة منها وتكريماً لصاحبها، ومساعدة لورثته. لقد عانى، رحمه الله، شأنه شأن من أدركتهم حرفة الأدب، من جشع الناشرين ولصوصيتهم في سرقة الكتب، وأكل حقوق مؤلفيها، انظر ==

أما تعليقاته، رحمه الله، فهي كثيرة؛ إذ يمكن القول: إنه لم يترك كتاباً تراثياً محققاً، أو دراسة لغوية إلا كانت له مشاركة في نقد ذلك وتقويمه، ونذكر في هذا الصدد تعليقاته النفيسة على "المعجم الكبير"، التي نشرها في مجلة "العرب"، وكان من كتابها المداومين، وكانت تربطه صداقة متينة بصاحبها الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، وقد أثنى عليه الشيخ الجاسر في غير ما مكان وزمان. ونذكر أيضاً تعليقاته في مجلة "عالم الكتب" السعودية، وقد كان على اتصال دائم وود ومراسلات مع رئيس تحريرها الدكتور يحيى محمود بن جنيد، وفي غيرهما من المجلات العلمية الرصينة على امتداد الوطن العربي.

رحم الله السامرائي، فقد كان في أخريات أيامه يحن إلى العودة إلى بغداد، يقول في رسالة إلى الأستاذ سمير غريب، مؤرخة في ٨ حزيران"يونيو" ٢٠٠٠م: "أتدري أخي إنني في كل عام أحصل على الإقامة السنوية بشق الأنفس، فمتى تستقر الحال، وأذهب إلى بغداد ؟ ما أراني أرى ذلك، لأني أنظر إلى نهاية الرحيل غريباً منبوذاً". قال الأستاذ غريب معلقاً:

"هذه نبوءة شفافة صادقة تحققت. انتهت رحلة العلامة إبراهيم السامرائي غريباً، ولم يذهب إلى بغداد حياً، ولا أعلم ما إذا كان استطاع الوصول إليها ميتاً!!! رحمة الله رحمة واسعة"(١).

ليس ما كتبناه مما يفي بحقوق الدكتور إبراهيم السامرائي علينا، نحن أبناء العربية وسدنتها، ولكم أحزننا وآلمنا أن نجد الصحف والمجلات تنشر التحقيقات الطويلة عمن هم أقل من السامرائي قدراً، وخدمة لماضي الأمة وحاضرها، ولم يخطر ببال محرريها أو رؤساء

== حديث السنين، م.س، ص ٣٦٧-٣٦٩. وقد نشرت مكتبة المنار في الزرقاء-الأردن مجموعة نصوص محققة مسبوقة بدراسات لها، بعنوان رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، احتوت على مجموعة رسائل منشورة في مجلات مختلفة، ثم جمعت في هذا الكتاب المفيد.

(١) صحيفة "الحياة" العدد المذكور سابقاً .

تحريرها أن يفردوا خبراً صغيراً للإعلان عن رحيل واحد من أعلام اللغة والأدب العربيين في القرن العشرين.

في العاصمة الأردنية عمّان، في الخامس والعشرين من شهر نيسان"أبريل" عام ٢٠٠١م، وعن عمر يناهز واحداً وثمانين عاماً، رحل إبراهيم أحمد الراشد السامرائي، غريباً عن وطنه، بعد عمر قضاه في الحل والترحال، جاب الآفاق بحثاً عن ذاته، انتشرت كتبه وأبحاثه في مشارق الأرض ومغاربها، وكان يحرص على مشاركة أهل كل بقعة نزل فيها علومهم، فكتب عن باريس، وتونس، والجزائر، واليمن، ومصر وغير ذلك من بلاد العرب التي أحبها.

هذه كلمة وفاء للدكتور إبراهيم السامرائي، تذكِّر الناس به، وتبسط ما قدمه للغة القرآن، التي تعمق في دراستها، وتدبرها، منذ أن كان طالباً حتى أيامه الأخيرة، أحسن الله عزاءنا جميعاً به، إنا لله، وإنا إليه راجعون.

وكتب في مدينة الرياض العامرة، في ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ الموافق لـ ١٣ يونيو"تموز" ٢٠٠١م